مرددا « لـ ٠٠ لـ ٠٠ لا اله الـ ٠٠ الـ ٠٠ الا الله يـ ٠٠ يا نا ٠٠ نايـم وحـ ٠٠ وحـ ٠٠ وحد الله » ، ثم يقفز كالقرد « بسم الله الرحمن الرحيم » صارخا « حـ ٠٠ حـ ٠٠ حي » ، بينما كانت امه تجري خلفه وهي تلطم علـى خديها داعية « الله يتجزا منك يا خديجة يا بنت حليمة البرمكية » ٠

ولكن احدا لم يعرف ما الذي جنته خديجة على حسن المعتوه ، وان كـان قد شاع ، والعلم عند الله وحده ، انه عندما كان حسن المعتوه يتبع الشيخ لافي في الجبل ، ظن انه قد دخل مغارة سويد ، فدخل خلفه وهو لا يزال في نوبـة الذكر ، واذا به امام خديجة وهي تنام عارية كما خلقها ربها ، وشعرها كالليل محلول على صدرها فانبهر ، واندور عقله ٠

وتضيف العجائز ، انه من غير المعقول ان يكون حسن المعتوه قد رأى خديجة على هذه الحال وحدها ، ولا بد انها كانت مع ملك من ملوك الجـان ، لان مغارة سويد ، « من زمان وجا ي» ، وهي مسكونة ٠ ومن يدري ، فربما كـان ، والله وحده العالم ، على هيئة الشيخ لافي نفسه ٠ هذا ان لم يكن قد اختلـط عليه الامر ، ورأى جنية ، ارسلها الله للشيخ لافي نفسه فعلا ، على هيئـة خديجة بنت حليمة البرمكية ، لكي يمتحنه ٠

ومهما يكن الامر ، فقد اصبح حسن بعدتلك الليلةمعتوها، واصبحت خديجة اجمل ، وصدرها ، يا صلاةالنبي ، تكور اكثر ٠ وحين كانت النساء تتهامسن كلما تمر ، كان وجه خديجة يشرق كالبدر التمام ، وكأن الرحمن اودع فيـه سره ٠ اما الشيخ لافي ، فكان يصمت كلما راح الشيخ المبروك يسأله عن سر تغيره ، ثم يشرد بعينيه بعيدا ، ووجهه يتهلل ، كما لو كان يصغي لصوت بعيد يناديه من اعماق مغارة سويد في قمة الجبل ، فينحني له خاله الشيخ المبروك متمتما « سبحانك اللهم تصطفي من عبيدك من تشاء » ، ثم ينسل بهدوء خافضا عينيه ، وكأنه كان في حضرة امام له ، كي لا يقطع عليه اتصاله ، بـه عـز وجـل ، وتوحـده ٠

غير ان حليمة البرمكية ، ام خديجة والتي كانت على فراش الموت ، قد كشف الودع بين يديها، حين شاع ما شاع عن خديجة ابنتها، عن عجوز شمطاء وجهها وجه تركية ، صدئة الاسنان شائبة ، رثة الثياب ، تجلس في زاوية مظلمة ، في مغارة لا تنتهي ، وتطبخ في قدر ضخم امامها ، رأسا يشبه رأس الشيخ لافي ٠ ولا تنفك تزيد النار حطبا ،بينما وقف ولد يشبه حسن ينظر اليها وهـو يرتعد ، ولا يستطيع الفرار ٠ وحين سألها الشيخ المبروك احمد الحمد الذي كان يقيـم ذكرا لروحها قبل موتها ، عما يعنيه الودع ، حملقت به ، ثم شهقت واسلمـت الروح دون ان تجيبه ٠ فاطرق الشيخ المبروك وبكى ٠ واستعاذ بالله مـن شر ودع حليمة ٠

وقبل ان يستطيع الشيخ المبروك تفسير ما قاله الودع بيـن يـدي حليمـة